الأدب في جانبه السلوكي

من كتاب زاد الأخيار

أولا – أهمية الأدب وفضله :

قال ابن القيم رحمه الله تعالى فيما يشبه أن يكون قاعدة في هذا الأمر:

" أدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره، فما استُجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب، فانظر إلى الأدب مع الوالدين كيف نجّى صاحبه من حبس الغار حين أطبقت عليهم الصخرة، والإخلال به مع الأم تأويلاً، وإقبالاً على الصلاة كيف امتُحن صاحبه بهدم صومعته، وضَرْبِ الناس له ، ورميهِ بالفاحشة.
وتأمل أحوال كلِّ شقيّ ومغتر ومُدْبِرٍ كيف تجد قلة الأدب هي التي ساقته إلى الحرمان" مدارج السالكين ٢/٦١٥-٣١٦.

ثانيا – صور من حسن الأدب :

١ – أدب الأنبياء الكرام :

محمد صلى الله عليه وسلم شَهِدَ له ربه عز وجل بهذا فقال في شأنه: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }القلم:٤.

يقول ابن القيم : وقال آدم عليه السلام : { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ } الأعراف٢٣ ، ولم يقل: "رب قدرت عليّ وقضيت عليَّ " .

freepptsq8

يقول ابن القيم رحمه الله :

قال المسيح عليه السلام : { إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ } ولم يقل: لم أقُله ، وفرق بين الجوابين في حقيقة الأدب.

" وكذلك قولُ إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم : { الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) والَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠)} الشعراء، ولم يقل: "إذا أمرضني" حفظاً للأدب مع الله".

موسى عليه الصلاة والسلام، حيث قال: { رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} القصص ٢، ولم يقل: أطعمني.

وقول يوسف لأبيه وإخوته: {هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ }، ولم يقل: "أخرجني من الجُبّ"، حفظاً للأدب مع إخوته: ألا يخجلهم بما جرى في الجُبِّ .

وقول أيوب عليه السلام : { مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ }الأنبياء:٨٣، ولم يقل: "عافني واشفني".

٢ – أدب الصالحين :

فهذا العباس رضي الله عنه يُسأل: أنت أكبر أم النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال:" هو أكبر، وأنا وُلِدْتُ قبله" نزهة الفضلاء ١/١٠٩.

وقال أبو زرعة : " كنتُ عند أحمد بن حنبل، فذُكر إبراهيم بن طهمان ، وكان متكئاً من علة فجلس، وقال: لا ينبغي أن يُذكر الصالحون فيُتَّكأ ".

وهذا الإمام الشافعي يقول: " قدمتُ المدينة فرأيت من مالك بن أنس ما رأيته من هيبته وإجلاله للعلم فازددت لذلك أدباً حتى ربما كنت أكون في مجلسه فأريد أن أصفح الورقة فأصفحها صفحاً رقيقاً هيبةً له لئلا يسمع وقعها " .

ثالثا – الآداب السلوكية وحاجتنا إليها :

وذلك للأسباب التالية :

١ – حصول الاطمئنان بين الناس بعضهم بعضاً.

٢ – الأدب ينزع الأحقاد.

٣ – الأدب مقياس لاستفادة الشخص من التوجيهات السلوكية لشريعة مجتمعه.

٤ – الأدب يحقق الأخوّة التي هي دعامة المجتمع الأساسية .

٥ – الأدب طريق العلم النافع :

قال حمدان بن الأصبهاني : " كنتُ عند شريك فأتاه بعض ولد المهديّ فاستند فسأله عن حديث فلم يلتفت إليه، وأقبل علينا، ثم أعاد فعاد بمثل ذلك، فقال: كأنك تستخف بأولاد الخليفة، قال: لا، ولكن العلم أزين عند أهله من أن تضعوه، قال: فجثا عند ركبتيه ثم سأله ، فقال شُريك: هكذا يُطلب العلم" نزهة الفضلاء ٢/٦٣١-٦٣٢.

رابعا – طريق اكتساب الأدب :

١ – تربية النشء عليه وأخذهم بتعاليمه :

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى : " كانت أمي تُعَمِّمُني وتقول لي: اذهب إلى ربيعةَ فتعلم من أدبه قبل علمه" صفحات من أدب الرأي ٦٣.

٢ – إبراز القدوات .

٣ – تعليم الناس وتذكيرهم دوماً بأهمية الأدب في حياتهم ومجتمعاتهم وخطورة تركه وإهماله .

٤ – ترسيخ الأخلاق القويمة في المجتمع.

٥ – قراءة الكتب التي أفردت لأبواب الأدب .

٦ – مصاحبة المربين المؤدَّبين المؤدِّبين :

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى :

" الطريق الثاني (أي من طُرق تهذيب النفس) : أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً متديناً يلاحظ أحواله وأفعاله، فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه ينبهه عليه، فهكذا كان يفعل الأكابر من أئمة الدين، كان عمر يقول: رحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوبي" إحياء علوم الدين ٣/٨٢ .

٧ – توقي الآداب المرذولة .

٨ – رياضة النفس ومجاهدتها :

وقد قال الإمام الغزالي: " فمن أراد – مثلاً – أن يُحصّل لنفسه خُلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال، فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفاً مجاهداً نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعاً له ويتيسر عليه فيصير به جواداً.. وجميع الأخلاق المحمودة شرعاً تحصل بهذا الطريق" إحياء علوم الدين ٣/٨٣.

freepptsq8

١ – اهتم العلماء والأخيار بالآداب السلوكية ، دلل على ذلك مما ورد في الآثار ؟

٢ – تجلت صور الآداب السلوكية في حياة الأنبياء ومن تبعهم من الصحابة والصالحين ، اذكر أمثلة على ذلك ؟

٣ – إن إشاعة الآداب السلوكية بين أفراد المجتمع يحقق الأخوة والاطمئنان وينزع الأحقاد ، بين ذلك ؟

٤ – ما هو طريق اكتساب الآداب السلوكية ؟

freepptsq8